مقدمة

الحمد لله الذى أبدع الوجود على غير مثال سبق ، وكرم بنى الانسان ، وكلفهم بأوامره ونواهيه ، ليبلوهم أيهم أحسن عملا . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أرسل إلى الناس كافة ، بشيراً ونذيراً .

(و بعد) فقد أصبحنا فى زمن تنكب أهله الطريق السوى . وألبست فيه الحقائق أثوابا غيرت معالمها ، حتى حسبها السذج وليدة هذا العصر ، وأعجوبة هذا الزمان ! ولقد سرى هذا الداء فى كثير من مرافق الحياة ، وطغى سيله ، حتى تناول الحقائق العلمية ، فإذا ما التفت الإنسان إلى أسماء العلوم فى عصرنا الحاضر ، وجدها قد تضاعفت عما كانت عليه من قبل ، وكأن مسميات هذه الأسماء لم يعرفها الأوائل ، ولم يدركها السابقون ! .

ولنأخذ ناحية ، على طريق المثال ، لننظر حالها الآن ، ونقارنه بحالها السابق . وتلك الناحية هى : ناحية تشريع الأحكام التى تنظم علاقات الأمة بغيرها من الأمم . فقد نادى المشرعون فى عصرنا الحاضر بنظريات تشريعية ، وسموها (تشريعاً دوليا : خاصاً ، وعاماً) .

ولقد ظن الناس أن المدنية هى التى جادت علينا بهذه القوانين ، ونفخت فيها روح الحياة وفاتهم أن الشريعة الاسلامية قد أتت بما هو خير من ذلك التشريع ، وأصلح لنظم العمران ، منذ استقرت على وجه البسيطة : فقد بين التشريع الاسلامى أحكام : دار الحرب ، ودار الاسلام ، والجهاد ، والمعاهدات . وأحكام الذمى ، والمستأمن

وتلك الحقائق هى ما أطلق على مثلها فى هذا العصر إسم (التشريع الدولى : الخاص ، والعام) .

وفى الحق أن الناس قد فتنوا بكل شىء أتى به سيل المدنية الجارف ، وهذا إغفال لعقولهم ، ونسيان لما بين أيديهم : من التشريع الذى أيقن العقلاء بأنه تشريع صالح لكل زمان ومكان .

* * *

ولما كان قانون التخصص للأزهر الشريف — يلزم كل طالب لشهادته النهائية أن يقدم رسالة فى موضوع من العلوم التى يدرسها ، فقد هدانى الله لأن أقدم رسالة فى موضوع « التشريع الاسلامى لغير المسلمين » وهذا الموضوع لم يسبق إلى بحثه — على وجه خاص — أحد من الكاتبين فى الفقه ، على ما أظن ، بل قد ذكروا فى كثير من أبواب الفقه أحكاما منثورة تتصل بهذا الموضوع : لذلك وجدتنى أول منقب فى أمهات كتب الفقه لاختار منها ما يتعلق بهذا البحث .

فأرجو من الله أن تكون هذه الرسالة خطوة ، تقفوها خطوات من خيرة العلماء المبرزين ، حتى يمسح ذلك العار الذى ألصقه بالتشريع الاسلامى المفتونون بزخرف المدنية الحاضرة فتارة يرمونه بالجمود ، وأخرى بالنقص وهو براء من تهم المغرضين ، الذين يصورون الإسلام بأنه يذل الشعوب ، و يستعبد الناس ، ويقف بالانسانية عن إدراك الكمال : وسيرى المنصف فى ثنايا هذا البحث سماحة الاسلام ، وسعة صدره ، وحسن معاملته لأهل الذمه ، وكيف جعل لهم حقوقاً ، وحاطهم بسياج من العدل يقيهم البغى ، و يدفع عنهم العدوان ؛ فى الوقت الذى كان فى مقدور المسلمين أن يجعلوا كل مخالف لهم فى العقيدة رهن إشارتهم ، وتحت تصرفهم .

و إن من ينظر فى التاريخ نظرة صادقة ، يرى عدل المسلمين مع غيرهم ، ذلك

العدل الذى تتشوف الانسانية إلى أن تراه اليوم فتمسح عبرتها ، وتكفكف دمعها من البكاء على تلك الأيام التى أمن الانسان فيها على نفسه من اعتداء أخيه عليه ، وتنسم فيها روح الحرية الصادقة .

ثم إنى و إن لم آل جهداً فى تنقيح هذا البحث وترتيبه ، ولم أدخر وسعاً فى تسديده وتهذيبه ، فإنه ربما لم يخلص من عثار وزلل ، ولم ينج من خطأ وخطل فلا يعجب الواقف عليه ، فان ذلك مما لا يسلم منه بشر . قال المزنى : « قرأت كتاب الرسالة على الشافعى ثمانين مرة ، فما من مرة إلا وكان يقف على خطأ ، فقال الشافعى : هيه[1] ! أبى الله أن يكون كتاب صحيحاً غير كتابه[2] » .

وقال عماد الأصفهانى : « انى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا فى يومه إلا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . وهذا من أعظم العبر ! ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » .

وما قصدى إلا أن ألقى قبساً من نور الشريعة المطهرة على هذا الموضوع الذى اعتقد كثير من الناس أن الشريعة أغفلته ، وقصرت عنه .

وأرجو الله أن أكون قد صوبت سهمى نحو الغرض الذى قصدته « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب » .

عبد الله مصطفى المراغى

---

(١) هيه بكسر الهاءين إسم فعل امر بمعنى زد .

(٢) كشف البزدوى جزء أول صحيفة ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة النـــاشر

نحمد الله على توفيقه ؛ فقد أعاننا على نشر ألوان من الثقافة العربية والاسلامية . وهانحن ننشر صفحة من هذه الثقافة تعلن عن سمو الشريعة الاسلامية فيما سنته من تشريع فى معاملة غير المسلمين فى مختلف شئون الحياة على اختلاف ملاهم ونحلهم .

وسيرى القراء فى هذا التشريع عدالة الاسلام و إنصافه لهذه الطوائف . وقد كتب هذه الصفحة الناصعة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله المراغى مدير المساجد فى أسلوب يدل على إحاطة وتمكن ونرجو أن يلقى هذا الكتاب ماهو جدير به من ذيوع و إقبال عند المهتمين بهذه المسائل من المسلمين وغير المسلمين وخاصة رجال التشريع من قضاة ومحامين شرعيين ووطنيين وطلبة المعاهد والحقوق . حتى يكون فى هذا الاقبال بعض التقدير لما قام به فضيلة المؤلف من جهود .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ؟

الناشر

على حسن